العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم

(الإبستيمولوجيا والعلم أنموذجا)

الإبستمولوجيا (Epistémolgie) في اللّغات الأوروبية مأخوذة من كلمتين يونانيتين هما :

إبستما (Epistémé) ومعناها علم .

ولوجس (Logos) ومن معانيها ، نقد ، نظرية ، دراسة .

إذن الابستمولوجيا من حيث الاشتقاق اللغوي هي الدراسة النقدية للعلوم .

أما كمصطلح فلسفي ، فليس له مدلول واحد في اللغات الأوروبية الحديثة . فهو في اللغتين الإنجليزية والألمانية يعني نظرية المعرفة . أما معناه في اللغة الفرنسية فهو يختلف عن ذلك تمامًا . لأن الإبستمولوجيا تهتم بالقضايا التي يطرحها العلم ، وتتساءل عن قيمة الحقائق التي يتوصل إليها من حيث علاقتها بالواقع . معنى هذا أن الإبستمولوجيا تهتم بالمعرفة العلمية وحدها .

ولهذا فالإيستمولوجيا تختلف عن نظرية المعرفة التي تنظر في المعرفة عموما وفيّ حدودها ومصدرها . أي أنها تبحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها .

كما تختلف عن فلسفة العلوم باعتبارها دراسة تحليلية نقدية لجميع العلوم .

فهي تتساءل عن كيفية إقامة الرياضي مثلاً لبراهينه ، وعن أصل المعاني الرياضية ، وكيفية تأسيس المصادرات الرياضية ، التي يطلب الرياضي التسليم بها في مقدمة كل برهان . وما يقال عن الرياضيات يقال أيضًا عن غيرها من العلوم الأخرى .

ولهذا تكون مهمة فلسفة العلوم بوجه عام تتمثل في الدراسة النقدية التحليلية لجميع العلوم سعيًا وراء الوصول إلى معرفة الأسس المشتركة بينها . مما يجعلها جميعا علوما رغم اختلاف مادة البحث بينها .

وعلى هذا الأساس فإن فلسفة العلوم ليست في الحقيقة علماً يضاف إلى قائمة العلوم كأنه واحد منها ، ولكنه يأتي بعد العلوم كلها ، فيحلل طرقها ومبادئها ونتائجها ، ولهذا تكون فلسفة العلوم هي التي تحلل العلم ولا تكون جزءاً منه ، أي أنها ليست العلم نفسه .

وهكذا يتضح الفرق بين فلسفة العلوم من حيث أنها تختص بالمناهج التي تبحث في الواقع .

وبين الإبستمولوجيا من حيث أنها تختص بنقد هذه المناهج ومبادئها ونتائجها .

وتنظر في مدى مشروعيتها ، وتختلف أيضا عن نظرية المعرفة من حيث هي إطار عام تقليدي يطرح إشكالية المعرفة عمومًا .

وبناء على ذلك يمكن القول أن الإبستمولوجيا تختلف عن نظرية المعرفة وفلسفة العلوم .

فهي كما عرفها « لالاند » (1867 – 1963 م) تعني : « الدراسة النقدية للمباديء والفروض والنتائج العلمية ، الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها وأهميتها الموضوعية » .من خلال ما تقدم يمكن القولُ إن الإبستمولوجيا في عصرنا الحالي قد بدأت تفرض نفسها كدراسة نوعية ، تختلف من عدة وجوه عن الدراسات والأبحاث المشتركة معها مثل نظرية المعرفة وفلسفة العلوم .